﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾ [الإسراء: 60]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

العلاقةُ بين تكذيب السّابقين، وتطمين الرَّسولِ على حمايته وحفظه

لمّا طالبوا الرَّسولَ ﷺ بالآياتِ المقترَحةِ، وأخبَرَ اللّهُ بالمصلحةِ في عدمِ المَجيءِ بها؛ طعَنَ الكفّارُ فيه، وقالوا: لو كان رسولًا حقًّا؛ لأتَى بالآياتِ المقترَحةِ، فبيَّن اللّهُ في هذه الآية أنَّه ينصرُه، ويؤيِّدُه، وأنَّه أحاطَ بالنّاس، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ﴾[1].

فذكر سُبحانَه ما يزيدُ النَّبيَّ ﷺ ثباتًا على ثباته، ويقينًا على يقينه، وما يدُلُّ على شمولِ علمِهِ تعالى، ونفاذ قُدرتِه، وبليغ حكمتِه[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَحَاطَ﴾: أصلُ (حيط) يدُلُّ على شَيءٍ يُطيفُ بالشَّيءِ[3]، ومنه الحائطُ: الجدارُ الَّذي يَحوط بالمكان، والإحاطَةُ تُقالُ على وجهين: أحدهما: في الأجسام، نحو: أَحَطْتُ بمكان كذا، أو تُستَعمَلُ في الحفظ، نحو: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾﴾ [فصّلت: 54]، وتُستعمَلُ في المَنع، نحو: ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْۖ﴾ [يوسف: 66][4]، والإحاطَةُ بالشَّيءِ: الكَونُ حَولَهُ كالحائِطِ، ويُكنَّى بها عَنِ التَّمكُّنِ مِنَ الشَّيءِ بحَيثُ لا يَفوتُ مِنهُ[5]، والثّاني: في العِلم، نحو قوله: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 360، وأبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 73.
(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 8/ 383.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حوط).
(4) الرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (حيط).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/ 171.

﴿١٢﴾ [الطَّلاق: 12][1]، والمقصودُ بالإحاطَةِ في الآية: الأَخذُ مِن كُلِّ جانِبٍ، وهي مُستَعمَلَةٌ هنا في مَعنى الغَلَبَةِ.

2) ﴿ٱلرُّءۡيَا﴾: أصلُ (رَأَى) يدُلُّ على نَظَرٍ وإبصارٍ بعَينٍ أو بَصيرَةٍ، فالرَّأيُ: ما يَراهُ الإنسانُ في الأمرِ، وجَمعُهُ الآراءُ[2]، والرُّؤيَةُ: إدراكُ المَرئيِّ، والرُّؤيا: على وزن فُعْلى، مصدر رأى، وهي ما يَراهُ النّائِمُ في مَنامِهِ، أو المَشاهِدُ الَّتي تُدرِكها النَّفسُ بواسِطَةِ الخيالِ في أثناء النَّومِ، فيراها النّائِمُ بعَينِ خَيالِهِ، كأنَّهُ يراها بعَينِ رأسِهِ، وألفُ التَّأنيثِ فيها قد جُعِلَ عِوضًا عن تاءِ التَّأنيثِ في "الرُّؤيَة"، للفَرقِ بين ما يَراهُ النّائِمُ واليَقظانُ، والجَمعُ: رُؤًى[3]، قال ابن الأنباريِّ: "المختارُ في هذه الرُّؤية أن تكونَ يقظةً، ولا فرقَ بينَ أن يقولَ القائِلُ: رأيتُ فلانًا رؤيةً، ورأيتُه رؤيا، إلّا أنَّ الرُّؤيةَ يقلُّ استعمالُها في المَنام، والرُّؤيا يكثرُ استعمالُها في المَنام، ويجوز كلُّ واحدٍ منهما في المعنيين"[4].

3) ﴿فِتۡنَةَ﴾: الفَتْن أصله الإحراقُ[5]، يُقالُ: فَتَنْتُ الذَّهَبَ، أي: أحرَقتُهُ بالنّارِ؛ لِتَمييزِ الجَيِّدِ مِنَ الرَّديءِ، ويُسَمَّى الصّائِغُ: الفَتّانَ، وكذلك الشَّيطان[6]، والفِتنَةُ: الكفرُ، وسَمَّوا ذلك فِتنَةً؛ لأنَّها تَزيدُ النّاسَ تَوغُّلًا في الكُفرِ[7]، وتأتي بمعنى: الامتحان، يُقالُ: فَتَنْتُهُ، أفْتِنُهُ، فَتْنًا وفُتونًا؛ إذا امتَحَنتُهُ[8]، والمقصودُ بالفتنة في الآية: اضطِرابُ الرَّأيِ، واختِلالُ نِظامِ العَيشِ[9].

4) ﴿ٱلۡمَلۡعُونَةَ﴾: أصلُ (لعن) يدُلُّ على الطَّردِ والإبعادِ، يُقالُ: لَعَنَهُ اللّهُ، أي: أبعَدَهُ وطَرَدَهُ عن الخَيرِ[10]، واللَّعينُ: المُبعَدُ المَنبوذُ، واللِّعانُ: الدُّعاءُ باللَّعنِ، وأمّا الَّذي يَصدُرُ

(1) الرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (حيط).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رأى).
(3) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (رأي)، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، والزّبيديّ، تاج العروس: (رأى).
(4) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 3/ 34.
(5) الخليل، العين: (فتن).
(6) ابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (فتن).
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/ 263.
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فتن).
(9) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 147.
(10) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (لعن).

مِنَ الخَلقِ؛ فهو بمعنى السَّبِّ والشَّتمِ، فيُقالُ: لَعَنَهُ لَعنًا، أي: سَبَّهُ[1]، ويأتي اللَّعنُ بمعنى التَّعذيبِ والإهلاكِ، واللَّعنَةُ: العَذابُ[2]، ومِن مَعانيه أيضًا: المَسخُ[3]، والمقصودُ باللَّعنِ في الآية: الإبعادُ وتحقيرُ المَلعونِ، والمُرادُ بالشَّجَرَة المَلعونَةِ شَجَرَةُ الزَّقُّوم، وجُعِلَت مَلعونةً، أي: آكلوها، فاتَّسعَ في الكلام، وسُمِّيَت بذلك؛ لأنَّ كُلَّ طعامٍ كريهٍ يُقالُ له: مَلعونٌ[4].

5) ﴿طُغْيَـٰنًا﴾: (طغى) أصلٌ صَحيحٌ مُنقاسٌ، وهو مُجاوزَةُ الحَدِّ في العِصيانِ[5]، يُقالُ: طَغَى السَّيلُ، إذا جاءَ بِماءٍ كثيرٍ يتَجاوزُ حدَّ ما كانَ يجري عليهِ، وطَغى البحرُ؛ إذا هاجَتْ أمواجُه[6]، والطُّغيانُ: تَجاوُزُ الحَدِّ في التَّعاظُمِ والظُّلمِ والكُفرِ، وفِعلُهُ يائيٌّ وواويٌّ، يُقالُ: طَغيَ يَطغَى كَرَضيَ، وطَغا يَطغو كَدَعا[7]، والطّاغيةُ: الجبّارُ العَنيدُ، والهاءُ للمُبالَغَة[8]، والمقصودُ بالطُّغيانِ في الآية: مُبالَغَةٌ في الطَّغي، وهو الإفراطُ في التَّمادي والغَيِّ.

المَعْنى الإجْماليُّ:

تأكيدُ الرَّدِّ على المُشركين، بأنَّ الآياتِ يُنزلُها اللهُ وفْقَ مَشيئتِه وعلمِه

في هذه الآية يُدخلُ اللهُ السَّكينةَ والطُّمأنينةَ على نفس رسولِه ﷺ بقوله: اذكرْ - يا محمَّدُ - ﷺ، وعْدَنا إيّاك أنَّ ربَّكَ أحاطَ عِلْمُهُ، وشَمِلَت قُدرتُهُ النّاسَ جميعًا، ومنهم المشركون، فلا يمكِّنُهم مِن إيذائك، أو إيقاع الضَّررِ بك، وهو سبحانَه سيجزي كلًّا منهم بما يستحِقُّه مِن جزاءٍ، وما جعَلْنا رُؤيا عَينيكَ الَّتي أريناكَ ليلةَ الإسراءِ

(1) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (لعن).
(2) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة: (لعن).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (لعن).
(4) ابن سِيده، المُحكم، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (لعن).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (طغي).
(6) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (طغي).
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 314.
(8) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللّغة: (طغي).

والمعراجِ مِنَ الغَرائبِ والعَجائِبِ إلّا اختِبارًا وبلاءً للنّاس؛ ليتبيَّنَ مَن يُصَدِّقُك ومَن يُكَذِّبُك، أو ما رأيتَه مَنامًا بتبشير اللّهِ لك بانتصارِكَ على قريشٍ في بدر وغيرها، وما جعَلْنا الشَّجَرةَ الملعونةَ في القرآن - وهي شجرةُ الزَّقّوم النّابتةُ في الجَحيم - إلّا فِتنةً للنّاسِ أيضًا؛ ليتبيَّنَ مَن يُصَدِّقُ بها، ومَن يكَذِّبُ، ويَستهزِئُ بها؛ إذ قالَ المُشركون: يُخبِرُنا مُحمَّدٌ أنَّ في النّارِ شَجرةً نابتةً، والنّارُ تأكُلُ الشَّجَرَ، فكيف تَنبُتُ فيها، ونُخوِّفُ المُشركين بما نتوعَّدُهم به مِنَ العَذابِ، فما يَزيدُهم تخويفُنا لهم إلّا تماديًا في الكُفرِ والضَّلالِ[1].

وترشدُ الآيةُ الكريمةُ: إلى بيان عِلَّة الإسراءِ والمعراجِ، وذِكرِ شجرةِ الزَّقّومِ في القرآن الكريم، وإلى أنَّ اللّهَ لا يعجزُهُ شيءٌ في الأرض ولا في السَّماء، وإلى أنَّ عدمَ التَّصريحِ في الكتاب والسُّنَّةِ بذكر الأمورِ العظيمةِ الَّتي حدثَت في الأزمنةِ المُتأخِّرةِ أولى وأحسنُ؛ لأنَّ الأمورَ الَّتي لم يشاهِدِ النّاسُ لها نظيرًا ربَّما لا تقبلُها عقولُهم؛ لو أُخبروا بها قبلَ وقوعِها، فيكونُ ذلك رَيْبًا في قلوبِ بعضِ المُؤمنين، ومانعًا يَمنعُ مَن لم يَدخلِ الإسلامَ، ومُنفِّرًا عنه[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو في قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ﴾:

جملة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ﴾ يجوز أن تكونَ معطوفةً على جملة: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ﴾ من باب الوصل، ويكون فيها بيانٌ لوجوب وقوع الوعيدِ الدُّنيويِّ[3]، ويجوز أن تكونَ الجملةُ مُعترِضةً[4]، ويكون

تـأكـيـدُ حِـفـظِ الـنَّـبـيِّ ﷺ مِن كيد الكافرين ومَكرهم

(1) ابن جرير، جامع البيان: 14/ 652، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 92، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 461.

(2) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن: 461، ومجمع البحوث الإسلاميّة، التّفسير الوسيط: 5/ 776، والجزائريّ، أيسر التّفاسير: 3/ 209.

(3) المهائميّ، تبصير الرّحمن: 1/ 432.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 145.

في هذه الآية إخبارٌ للنَّبيِّ ﷺ بأنَّه محفوظٌ مِنَ الكَفَرَةِ آمِنٌ، أي: فَلْتُبلِّغْ رسالةَ ربِّك، ولا تتهيَّبْ أحدًا مِنَ المَخلوقين[1].

دلالةُ التَّعبير بالظَّرف ﴿وَإِذْ﴾:

بيانُ الإشارة إلى الوقت الَّذي قيلَ فيه هذا القول

عبَّرَ القرآنُ الكريمُ بـ﴿وَإِذْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ﴾؛ للإشارة إلى الوقتِ الَّذي قيلَ فيه هذا القولُ للنَّبيِّ ﷺ؛ تسليةً له على حُزنه مِن تكذيبِ قومِه إيّاه، ومِن إمهال اللهِ لأئمَّة الكفرِ الَّذين فَتَنوا المُؤمنين والمُؤمنات، فكان التَّعبيرُ بالظَّرفيَّة للتَّذكير بوعدِه للنَّصر عليهم.

وفيه إشارةٌ للرَّدِّ على المُشركين الَّذين يقترحون الآياتِ على رسول الله ﷺ، بأنَّ إنزالَها يكون وفْقَ مشيئةِ اللهِ وعِلْمِه[2].

بلاغةُ الحذفِ في قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾:

تـذكـيرُ الـنَّـبـيِّ ﷺ، بما يجعله مُـطـمَـئِـنًّـا لوعد ربِّه الأكيد

(إذ) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ﴾ مُتعلِّقةٌ بفعلٍ مَحذوفٍ، أي: (واذكرْ - يا محمَّدُ ﷺ - إذ قُلنا لكَ: إنَّ ربَّكَ أحاطَ بالنّاس، والتَّذكيرُ بمضمونها يجعلُك مُطمَئِنًّا لوعد ربِّك لكَ، وللَّذينَ آمنوا بكَ، واتَّبعوكَ بالنَّصر)، والمُرادُ مِنَ التَّذكير إعادةُ الخَبرِ إلى الذّاكرةِ العقليَّة.

دلالةُ إسناد القول إلى نون العَظمةِ:

بـيـانُ عَـظَـمـةِ الـقـولِ الـصّـادرِ مِـــنَ الـــرَّبِّ العظيمِ

قوله تعالى: ﴿قُلْنَا﴾، أي: على ما لنا مِنَ العظمةِ المُحيطةِ[3]؛ فلأجل تعظيم هذا القول جيءَ بالفعل مُسندًا إلى نون العَظمةِ وضميرِ الكبرياء؛ لكونه صادرًا مِنَ الرَّبِّ العظيم، الَّذي عظمتُه فوقَ كُلِّ عظمة، وجلالُه أرفعُ من كُلِّ جلال، وفيه دلالةٌ على أنَّ قُدرةَ الله تعالى الَّتي تحيطُ بالنّاس عظيمةٌ؛ لذلك ناسبَ التَّعبيرَ بنون العظمةِ، وفيه إشارةٌ إلى تشريف القولِ وتعظيمِه، وأنَّه جديرٌ بالانتباه إليه.

(1) الثّعالبيّ، الجواهر الحِسان: 3/ 482.
(2) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 5/ 511.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 11/ 457.

وجهُ تقييد القولِ بالجارِّ والمَجرور ﴿لَكَ﴾:

بـيـانُ مَـزيـد العنايةِ والرِّعايةِ بالرَّسول الكريم

دلَّ التَّقييدُ بالجارِّ والمَجرور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ﴾ على بيان مزيدِ عنايةٍ ورعايةٍ مِنَ الرَّبِّ العظيم لهذا الرَّسول الكريم، فالقولُ لكَ، والبشارةُ مخصوصةٌ بك، والمعنى: بشَّرناكَ بأنَّ اللَّه يغلِبُ أهلَ مكَّةَ، ويقهرُهُم، ويُظهرُ دولتَكَ عليهم، وهذه بشارةٌ بوقعة بَدر[1].

بلاغةُ الالتفاتِ:

التَّسليةُ للنَّبيِّ الخاتمِ ﷺ، والتَّبشيرُ له ولأصحابه الأكارم

في الالتفاتِ مِنَ التَّكلُّم إلى الخطابِ في قوله: ﴿لَكَ﴾ تسليةٌ للنَّبيِّ ﷺ على حُزنِه من تكذيب قومِه إيّاهُ، ومِن إمهالِ عُتاةِ أعداءِ الدّينِ الَّذين فَتنوا المُؤمنينَ، فذكَّرَهُ اللّهُ بوعدِهِ نَصْرَهُ[2]، فكأنَّه جوابٌ عمّا خَطَرَ ببالِه ﷺ من أنَّ عدمَ إرسال ما اقترحَه القومُ مِنَ الآياتِ يوجِبُ أن يزدادَ عِنادُهم إلى حيثُ يمنعُه من تبليغ رسالتِه وإظهارِ دينِه، كأنَّه قيلَ: لا تتوهَّم ذلك، واذكرْ ما أوحيَ إليك مِن ربِّك، مِن أنَّ النّاسَ في قبضة قُدْرتي، أَنصُرُكَ وأعصمُكَ منهم على ما أنت عليه[3].

إيثارُ لفظ ﴿رَبَّكَ﴾ بدلًا مِن اسم الجلالة (الله):

آثرَ التَّعبيرَ بالرُّبوبيَّة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾؛ لإظهار مزيدٍ مِنَ التَّفضُّل بالإحسان على النَّبيِّ ﷺ، والرِّفقِ بأمَّتِه[4]، فإنّ في إظهار مزيدِ اللُّطفِ به مَزيدَ تكريمٍ له واجتباءٍ.

فائدةُ إضافةِ الرَّبِّ إلى ضمير المُخاطَب:

إبـرازُ العنايةِ الإلَهيَّةِ بالرَّسول ﷺ

أوْمَأَ جَعْلُ المُسنَدِ إليه لفظَ: ﴿رَبَّكَ﴾ مُضافًا إلى ضمير الرَّسولِ، إلى أنَّ هذا القولَ مَسوقٌ مَساقَ التَّكرِمَةِ للنَّبيِّ ﷺ، وأنَّه بِمَحَلِّ عنايَةِ

(1) ملا حويش، بيان المعاني: 2/ 519، والجاويّ، مَراح لبيد: 1/ 630.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 145.
(3) زاده، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 5/ 400.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 11/ 457.

اللّه به؛ إذ هو رَبُّهُ، وهو ناصرُهُ، قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطّور: 48][1].

دلالةُ التَّعبيرِ بالفعل ﴿أَحَاطَ﴾ دون غيره:

بيانُ كمالِ قُدرةِ الخالِقِ الأبرِّ في سلطانِه على البشر

آثرَ التَّعبيرَ بالإحاطة في قوله تعالى: ﴿أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ﴾ دونَ الهلاك؛ لأنَّها مُستلزِمةٌ لهُ؛ فهي كنايةٌ عن شُمول قُدرتِه، بحيثُ يكونون في قبضتِه، فيتصرَّفُ فيهم على وفْق إرادتِه، ولأنَّ فيه دلالةً على أنَّهم لا يُعجِزونَ اللّهَ شيئًا أرادَه[2].

وفيها دلالةٌ على أنَّ الإهلاكَ لكفّار قريش من كلِّ جانب، فليس لهم ملجأٌ يلجؤون إليه، ولا ملاذٌ يلوذون به عنه، فهُم في قبضتِه لا يقدرون على الخروج مِن مَشيئتِه، ونحن مانعوك منهم، فلا تتهيَّبْ منهم أحدًا، وامضِ لِما أمرناك به من تبليغ رسالتِنا[3]، والكلامُ مَسوقٌ لتسلية رسولِ اللّه ﷺ عمّا عَسى يَعتريه من عدمِ الإجابةِ إلى إنزال الآياتِ المُقترَحةِ؛ لِمُخالفتِها للحِكمة مِن نَوعِ حُزنٍ من طَعن الكَفَرَةِ؛ إذ كانوا يقولون: لو كُنتَ رسولًا حقًّا؛ لأتيتَ بهذه المُعجزةِ، كما أتى بها مَن قبلكَ مِنَ الأنبياءِ عليهم السلام، فكأنَّه قيلَ له: اذكرْ وقتَ قولِنا لك: إنَّ ربَّكَ اللَّطيفَ بكَ قد أحاطَ بالنّاس، فهُم في قبضة قُدْرتِه لا يَقدِرونَ على الخروج مِن رِبقَةِ مَشيئتِه، فهو يَحفظُكَ منهم، فلا تَهتَمَّ بهم، وامضِ لِما أمرتُكَ به مِن تبليغِ الرِّسالة[4].

نُكتَةُ التَّعبير بصيغة الماضي ﴿أَحَاطَ﴾:

التَّنبيهُ على تحقيقِ وقوعِ إحاطةِ اللّهِ بالنّاس

عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ بصيغة الماضي ﴿أَحَاطَ﴾ دون المضارع؛ للتَّنبيهِ على تحقيق وقوعِ إحاطةِ اللّهِ بالنّاس في المُستقبَلِ القريبِ[5]،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 145.
(2) القونويُّ، حاشيته على تفسير البيضاويِّ: 11/ 537.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 479.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 101.
(5) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/ 259.

ولعلَّ هذا إشارةٌ إلى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ﴾ [الرَّعد: 41]، والمعنى: فلا تحزنْ لافترائِهم وتَطاوُلِهم، فَسَنَنْتَقِمُ منهم[1]، فأحاطَ، بمعنى: يُحيطُ، عبَّرَ عنِ المُستقبل بالماضي؛ لأنَّه واقعٌ لا محالةَ، يُؤكِّدُ ذلك الوقتُ الَّذي وقعَت فيه الإحاطةُ بهم، مع تعدُّدِ المُرادِ به، فقيل: يومُ بدرٍ، ويجوزُ أن يكونَ ذلك في أمر الخندقِ، ومَجيءِ الأحزابِ يَطلبونَ ثأرَهُم بِبدرٍ، فَصَرَفَهُمُ اللّه بغيظِهِم لم يَنالوا خيرًا، والأشبهُ أنَّه يومُ الفتحِ، فإنَّه اليومُ الَّذي أحاطَ أمرُ اللّه بإهلاك أهلِ مكَّةَ فيه، وأمكَنَ منهم، وعلى كلٍّ فالآيةُ إخبارٌ له أنَّه مَحفوظٌ مِنَ الكفرةِ، آمِنٌ من أن يُقتَلَ، ويُنالَ بمَكروهٍ عظيمٍ[2].

معنى الباء في قوله: ﴿بِٱلنَّاسِۚ﴾:

كمالُ قدرةِ اللهِ على النّاس تنبيهٌ لِمَن طغى وكفر

دلَّتِ الباءُ في قوله تعالى: ﴿أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ﴾ على أنَّ قُدرةَ اللّهِ تعالى مُحيطةٌ مُتلبِّسةٌ بالنّاس جميعًا، فهُم في قبضتِه، ولا ينفكّونَ عن إرادتِه، وفي هذا تهديدٌ للكفّار وطمأنةٌ لرسول اللّه ﷺ.

دلالة (أَلْ) في قوله: ﴿بِٱلنَّاسِۚ﴾ والمُراد بهم:

توجيهُ الخطاب على العُموم أو الخصوص

(ال) في ﴿بِٱلنَّاسِۚ﴾ في هذا المَوضِعِ فيها قولان:

القول الأوَّل: أنَّ (ال) للاستغراق، والمُرادُ استغراقُ جميعِ أفرادِ الجِنسِ، والمعنى: أنَّ قُدرةَ اللّهِ مُحيطةٌ بالنّاس جميعًا، فهُم في قبضتِه ومَشيئتِه، ومتى كان الأمرُ كذلك؛ فهُم لا يَقدرونَ على أمرٍ مِنَ الأمور إلّا بقضائِه وقَدَرِه.

والقول الثّاني: أنَّ المُرادَ بـ(ال) في النّاس للعهد، والمعهودُ أهلُ مكَّةَ، وإحاطةُ اللّه بهم هو أنَّه تعالى يفتحُها للمُؤمنين، فكان المعنى: وإذ بشَّرناكَ بأنَّ اللّه أحاطَ بأهل مكَّةَ، بمعنى: أنَّه يغلِبُهُم ويَقهرُهُم، ويُظهرُ دولتَكَ عليهم، ونظيرُه قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 146.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 73.

ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ [القمر: 45]، وقال: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ﴾ [آل عمران: 12][1]، قال ابن عبّاس ﷺ: "النّاسُ هُنا أهلُ مكّةَ، وإحاطَتُهُ بهم إهلاكُهُ إيّاهُم"[2].

دلالةُ تَعدّي الإحاطة إلى النّاس لا إلى أحوالهم:

لمّا تعدَّتِ الإحاطةُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ﴾ إلى ذات النّاسِ لا إلى أحوالِهم؛ تعيَّنَ أنَّها مُستعمَلَةٌ في الغَلَبَةِ، كما في قوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ﴾ [يونس: 22][3].

بيانُ أنَّ الإحاطةَ مُستعمَلَةٌ في الغَلَبة

معنى الواو في قوله: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا﴾:

عَطَفَ النَّظمُ الكريمُ جملةَ: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا﴾، والَّتي تليها على قول الله تعالى: ﴿وَمَا نُرۡسِلُ﴾، وما بينَهما مِنَ الجملِ مُعترِضاتٌ[4]، لبيان ما تشتملُ عليه الجملُ مِن قضايا أثارَ عليها كبراءُ المُشركين وأئمَّتُهم ضجيجًا وعجيجًا؛ بغيةَ الصَّدِّ عن تصديق الرَّسولِ محمَّد ﷺ، والتَّأثير في بعض الَّذين آمنوا، ولم يتغلغلِ الإيمانُ في قلوبهم، وهذا واضحٌ في قضية الرُّؤيا الَّتي دلَّ عليها قولُ الله ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ﴾، أي: (وما جعلنا الرُّؤيةَ الَّتي أريناك ليلةَ أسرينا بكَ مِنَ المَسجد الحرام إلى المَسجد الأقصى، وعَرَجْنا بكَ إلى السَّماء السّابعة فَسِدرَة المُنتهى، وما جعلْنا أمرَنا لكَ بالحديث عن هذه المِنَّة العظيمةِ إلّا فتنةً)، أي: امتحانًا وابتلاءً للنّاس، وأيضًا في قضية ذِكر الشَّجرةِ الملعونةِ في القرآن الَّتي اعترضوا عليها؛ لكونِها تنبتُ في النّار على خِلاف ما اعتادوا عليه.

عرضُ بعضِ القضايا الَّتي أثارَ عليها المشركون ضجيجًا

سِرُّ التَّعبيرِ بالفعل ﴿جَعَلۡنَا﴾:

آثرَ القرآنُ الكريمُ التَّعبيرَ بالجَعْل في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا

عِلْمُ اللهِ تعالى بما سيؤولُ إليه الكفّارُ، مِن عدم الإيمانِ به

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 360.
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 281.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 146.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 146.

﴿ٱلرُّءۡيَا﴾؛ للدَّلالة على أنَّ أمرَ الرُّؤيةِ مَقصودٌ؛ لأنَّ الجَعْلَ يأتي بمعنى التَّصييرِ والتَّحويلِ، وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ عدمَ الإجابةِ للآيات المُقترَحةِ مِن كفّار قريشٍ يَدُلُّ على أنَّه مَقصودٌ لعِلْم اللهِ تعالى بما سيكونون عليه مِن عدم الإيمانِ، ويُؤكِّدُ ذلك ما نَتَجَ عن أمر الرُّؤيا مِن فتنةٍ أدَّت إلى السُّخريةِ والاستهزاءِ بها وعدمِ الإيمانِ.

غرضُ التَّعبير بصيغة الماضي ﴿جَعَلْنَا﴾:

أمـرُ الـلـه نـافِـذٌ ومُتحقِّقُ الوقوعِ لا مَحالةَ

دلَّ التَّعبيرُ بالماضي في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا﴾ على أنَّ أمرَ الرُّؤيةِ - الَّتي أراها اللهُ لرسوله ﷺ، وما نتجَ عنها مِن آثار - أمرٌ قدَّرَه اللهُ في اللَّوح المَحفوظِ، ولعِلْمِهِ بما سيكونُ منهم كانَ التَّعبيرُ بالماضي؛ للدَّلالة على وقوع ذلك.

دلالةُ إسناد الجَعل إلى نون العَظمةِ:

الإشـــارةُ إلى عَظَمة الجَعْلِ الصّادرِ مِنَ الرَّبِّ الجليلِ القادرِ

في إسناد الجَعْلِ إلى ضمير الكبرياءِ والعَظمةِ في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا﴾ دليلٌ على عظمة هذا الجعلِ الصّادرِ مِنَ الجليل العظيم، أي: بما لنا مِنَ القوَّةِ الباهرةِ الَّتي لها الغنى المُطلَق[1].

سِرُّ اصطفاء لفظ ﴿ٱلرُّءۡيَا﴾ دون (الرُّؤية):

مُشابَهَةُ هذه الرُّؤية العينيَّة لـرؤيـا المَـنـام، فيما شوهِدَ فيها

آثرَ السّياقُ الكريمُ التَّعبيرَ بالرُّؤيا في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءۡيَا﴾ عن رؤية العينِ، مع أنَّ أشهرَ استعمالِها في رؤيا النَّوم؛ لأنَّ بعضَ أهلِ العربيَّةِ ذَهَبَ إلى عدم الفرقِ بينهما، فيقول: لا فرقَ بين أن يقولَ القائلُ: رأيتُ فلانًا رؤيةً، ورأيتُه رؤيا، إلّا أنَّ الرُّؤيةَ يقلُّ استعمالُها في المَنام، والرُّؤيا يكثرُ استعمالُها في المَنام، ويجوزُ كلُّ واحدٍ منهما في المَعنيَين[2]، واستُعمِلَت هُنا في رُؤية العين، كما نُقِلَ عن ابن عبّاس في هذه الآية، قال: "هي رُؤيا عينٍ أُريَها النَّبيُّ ﷺ

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 11/ 457.
(2) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 3/ 34.

ليلةَ أُسريَ به إلى بيتِ المَقدسِ"[1]، ويؤيِّدُ هذا الوجهَ قولُهُ: ﴿ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ﴾، فإنَّه وصْفٌ للرُّؤيا؛ ليُعْلَمَ أنَّها رُؤيةُ عَينٍ[2]، وقولُه بعدَها: ﴿إِلَّا فِتۡنَةٗ﴾؛ لأنَّه لو كانَ رُؤيا مَنامٍ لم يكُنْ بحيثُ يستبعدُهُ أحدٌ؛ فلَم يكُنْ فِتنةً، ولعلَّهُ إنَّما سمّاها رُؤيا - وهي لِلمَنامِ - على وجه التَّشبيهِ بطريق الاستعارةِ التَّصريحيَّةِ الأصليَّةِ؛ لِما فيه مِنَ الشَّبه بالخوارق الَّتي هي بالمَنام أليقُ في مَجاري العاداتِ[3]، أو لأنَّها وقعَت باللَّيل، وتَقَضَّت بالسُّرعة، كأنَّها منامٌ، فيكون الشَّبهُ بينَهما في سرعتها ووقوعِها ليلًا[4]، أو مِن باب مشاكلةِ تسميَةِ الكفّارِ لها رؤيا؛ لِما روي أنَّ بعضَهم قالَ للنَّبيِّ ﷺ لمّا قصَّ عليهم أمرَ الإسراء؛ قال: لعلَّه شيءٌ رأيتَهُ في مَنامِكَ[5].

دلالةُ التَّعبير بقوله: ﴿ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ﴾:

بيانُ تحديدِ رؤيةِ المِعراجِ وتعيينُها

دلَّ التَّعبيرُ بقوله تعالى: ﴿ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ﴾ لتحديد رؤية الإسراءِ والمِعراجِ وتعيينها، وإخراجِ ما عداها مِنَ الرُّؤى الَّتي تعدَّدت لرسول الله ﷺ، كما في غزوة بدرٍ، وذكرَها اللهُ بقوله: ﴿إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ﴾ [الأنفال: 43]، وكما في رؤية عام الحُديبيَّة الَّتي ذكرَها اللهُ بقوله: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [الفتح: 27]، وللتَّدليل على أنَّها رؤيةٌ بالعين للمَشاهِدِ الَّتي رآها في ليلة الإسراء والمِعراج.

بلاغةُ التَّعبير بقوله: ﴿أَرَيۡنَٰكَ﴾:

الإراءةُ فضلٌ مِنَ اللهِ الأوحدِ، لا اكتسابًا بفعل الرَّسول المُرْشِدِ

دلَّ التَّعبيرُ بقوله: ﴿أَرَيۡنَٰكَ﴾ دون (رأيت)؛ للدَّلالة على أنَّ الأمرَ ليس مِن فعل رسولِ الله ﷺ، إنَّما الَّذي أراه هو اللهُ، وفي هذا دليلٌ على أنَّها مَحضُ فضلٍ مِنَ الله، وليسَت اكتسابًا بفعل الرَّسولِ، وتدُلُّ

(1) أخرجه البخاريّ في صحيحه، برقم: (3888).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 146.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 11/ 458.
(4) إسماعيل حقّي، روح البيان: 5/ 178.
(5) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 101.

على إكرام اللّهِ له، وعُلوِّ مَنزلته؛ لأنَّ الّذي تولَّى الإراءةَ له هو اللّهُ ﷻ، وليس مَلَكًا مِنَ الملائكة.

فائدة الوصف بقوله ﴿ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ﴾:

في قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ﴾ وصفٌ للرُّؤيا؛ ليُعْلَمَ أنَّها رُؤيةُ عينٍ، وتمييزٌ لتلك الرُّؤيا عن رؤيا المَنام الَّتي يراها أيُّ إنسانٍ[1]، ومجيء السياق مشتملًا على مادّة الرّؤية هو من باب جِناسِ الاشتقاق.

تمييزُ الرُّؤيا العينيَّة عنِ الرُّؤيا المناميَّة

نُكْتَةُ إضافةِ الإراءةِ إلى نون العَظمةِ:

قوله تعالى: ﴿ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ﴾، أي: بتلك العَظمةِ الَّتي شاهدتَها ليلةَ الإسراء[2]، ففي إضافة الإراءةِ إلى ضمير العَظَمةِ والكبرياءِ تعظيمٌ لها؛ لأنَّها مِنَ الله العظيم، وفي هذا مِنَ التَّكريم للنَّبيِّ ﷺ ما لا يَخفى.

أهمّيَّةُ تعظيمِ الإراءةِ؛ لكونها مِنَ الله العظيم

بلاغةُ القصر في سياق الآية الكريمة:

دلَّ القَصرُ في قوله: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةً﴾ على كونها امتحانًا للنّاس؛ لمعرفة المُؤمنين الصّادقين، والكافرين المُكذِّبين، معرفةً ينكشفُ بها حالُهم أمامَ النّاس، لا بالنِّسبة إلى اللّه تعالى، فهو على عِلمٍ سابقٍ بكلِّ ما سيحصل، وقد كذَّبَ بها قومٌ، وكفروا، وصدَّقَ بها آخَرون، ويكون المعنى: وما جعلْنا ما رأيتَه وعاينتَه - ليلةَ إسرائِنا بكَ - مِن غرائبَ إلّا فتنةً للنّاس؛ ليتميَّزَ قويُّ الإيمان مِن ضعيفه، وسليمُ القلب مِن مريضِه، وكان ما رآه ﷺ في تلك اللَّيلة فتنةً للنّاس؛ لأنَّه لمّا قَصَّ عليهم ما رآه؛ ارتدَّ بعضُهُم عنِ الإسلام، وتردَّدَ بعضُهم الآخر في قَبوله.

امتحانُ النّاس؛ لمعرفة المُصدِّقين والمُكذِّبين

سرُّ التَّعبيرِ بقوله: ﴿فِتۡنَةً﴾:

آثرَ القرآنُ الكريمُ التَّعبيرَ بلفظ الفتنةِ في قوله تعالى: ﴿وَمَا

أثرُ وقوعِ حادثةِ الإسراءِ في أهل مكّةَ أمِّ القُرى

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 147.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 457.

﴿جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً﴾؛ لتعدُّدِ معانيها حسب ورودِها في سياقات آياتِ القرآنِ الكريم، فكلُّ سياقٍ يحدِّدُ معناها؛ لأنَّها وردَت في القرآن بمعانٍ عديدة؛ فجاءَت بمعنى الكُفرِ والشِّركِ والإيقاعِ في الحيرةِ، والعذابِ، والبلاءِ، والمِحنةِ، والقتلِ، والهلاكِ، إلى غير ذلك مِنَ المعاني الَّتي ذكرَها صاحبُ بصائر ذوي التَّمييز، ولمّا كانَ السّياقُ هنا يتحدَّثُ عن أثر الرُّؤيا بعد أن قصَّها رسولُ الله ﷺ، حيثُ أدَّت إلى ارتداد بعضِ المُسلمين، وتردَّدَ البعضُ الآخرُ في قَبول هذا الحدث؛ لأنَّ عقولَهم ضاقَت عنِ استقباله أو تصديقِه؛ لأنَّه أمرٌ لا يَتصوَّرُ العقلُ وقوعَه في ليلةٍ واحدةٍ؛ كان التَّعبيرُ بالفتنة هو المناسب لهذا السّياق.

دلالةُ التَّعبير بالإظهار دون الإضمار:

تعيينُ كفّار مكَّةَ الّذين اعترضوا على هذه الرُّؤيا الخارقة

آثرَ القرآنُ الكريمُ التَّعبيرَ بالظّاهر في قوله: ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ دونَ أن يقولَ: (لهم)، مع سبق ذِكرِ هذه اللَّفظةِ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾؛ للدَّلالة على تعيينهم وتخصيصهم، وهم كفّارُ مكَّةَ الّذين اعترضوا على هذه الرُّؤيا وسَخِروا منها، وقالوا: (كيف يزعمُ محمَّدٌ ﷺ أنَّه ذهبَ إلى المَسجد الأقصى في ليلةٍ واحدةٍ؟) بخِلاف التَّعبيرِ بالمضمر الذي يعيّنُ الرّجوع إلى لفظ (الناس) الأوّل في قوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾؛ وعلى ما سبق في دلالة (ال) في لفظ النّاس الأوّل، ويؤكِّدُ الخصوصَ في لفظ (النّاس) الثاني في قوله: ﴿لِّلنَّاسِ﴾ دلالةُ اللّام، فهي تفيدُ التَّخصيصَ بكفّار مكَّةَ؛ لأنَّ الحدثَ وقَعَ في مكَّةَ، وقَصَّهُ رسولُ الله ﷺ على أهلها دون غيرِهم؛ لأنَّ الدَّعوةَ ما زالَت في عهدِها المكّيِّ، ويؤكِّدُ ذلك التَّصريحُ بكونها فتنةً للظّالمين، في قول الله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾﴾ [الصّافات: 62 - 63]، فهي فتنةٌ لهم، كما أنَّ الرُّؤيا كانت فتنةً لهم.

سِرُّ العطفِ بالواو في قوله: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ﴾:

بـيـانُ الـفـتـنـةِ الـثّـانـيـة الّـتـي أحدثَت خلافًا في المجتمع المكّيّ

قولُه تعالى: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلرُّءْيَا﴾ منصوبٌ مثله، أي: (وما جعلْنا الرُّؤيا الّتي أريناك والشَّجرةَ الملعونةَ إلّا فتنةً للنّاس)، فجمعَتِ الواو بينَ الفِتنتَين: الفِتنَةِ في الرُّؤيا الّتي ذُكِرَت مِن قبلُ، والفِتنَةِ في الشَّجرة المَلعونةِ الّتي أَحدثَت اعتراضًا واستهزاءً، مِن ذلك ما وقَعَ مِن أبي جهلٍ الّذي قال: (إنَّ ابنَ أبي كَبْشَةَ يوعِدُكُم بنارٍ تُحرِقُ الحجارةَ، ثُمَّ يَزعُمُ أنَّه يَنبُتُ فيها شجرةٌ، وتعلمونَ أنَّ النّارَ تُحرِقُ الشَّجرَ)[1]، فبدلَ أن يَعتبِروا بما فيها مِن إرهابٍ وإفزاعٍ، فُتِنوا بالألفاظ، فقالوا: إنَّها تخرجُ في أصل الجحيم، ونارُ الجحيم تأكلُ الحجارةَ، فكيف تَنبتُ فيها الأشجارُ؟ وأخذوا مَفتونين يردِّدونَ هذا القولَ، كأنَّهُم أخذوا على القرآن أمرًا مُختلِفًا، فكانَت هي الأخرى فتنةً لهم، والضّالُّ لا يتَّجِهُ إلى الحقِّ اتِّجاهًا مُستقيمًا، فهو يتعرَّجُ به في المَعارج من غير اتِّجاهٍ إلى صراط مُستقيمٍ[2].

دلالةُ إسناد الفتنةِ إلى الشَّجرة:

بـيـانُ استبعادِ المُشركين نباتَ شجرةٍ في وسط الجحيم

أسندَ القرآنُ الكريمُ الفتنةَ إلى الشَّجرة في قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ﴾ حيثُ عطفَها على ﴿ٱلرُّءْيَا﴾، ويكون التَّقديرُ: (وما جعلْنا الرُّؤيا والشَّجرةَ الملعونةَ إلّا فتنةً للنّاس)؛ لأنَّه لمّا سَمِعَ المشركون ذِكرَها؛ استبعدوا حصولَ ذلك، وعَدّوه مِن باب السُّخرية والاستهزاء أن تَنبُتَ شجرةٌ في أصل الجحيم، مع وجود ما يَدُلُّ على قُدرة اللّهِ تعالى على فعلِ ذلك، بأن حَمَى وبَرَ السَّمَنْدَر مِن أن تأكلَه النّارُ - وهو طائرٌ بالهند لا يحترقُ بالنّار - وأحشاءَ النّعامةِ مِن أذى الجمرِ، إلى غير ذلك ممّا لا يتأثَّرُ بالنّار[3].

(1) البغويّ، معالم التّنزيل: 3/ 141، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/ 485، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 283.

(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 8/ 4409.

(3) القونويُّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 11/ 539.

دلالةُ وصْفِ الشَّجرةِ باللَّعنِ بينَ الحقيقةِ والمَجاز:

لَعْنُ الشَّجرةِ لها في ذاتِها، أو لِلَعْنِ أصحابِها وخُبْثِ طَعْمِها

اختُلِفَ في نسبة اللَّعنِ إلى الشَّجرة في قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ﴾؛ فمنهم مَن قال: إنّه مَجازٌ عقليٌّ علاقتُه السَّببيَّةُ؛ لأنَّ الشَّجرةَ لا ذنبَ لها حتّى تُلعَنَ على الحقيقة، فليس معنى لعْنِها: أنَّها مَطرودةٌ، كما يُطْرَدُ العُصاةُ المَسؤولون؛ لأنَّها لا توصَفُ بالعصيان والمسؤوليَّة، وإنَّما وُصِفَت بلَعْن أصحابِها على المَجاز، فالمُرادُ بلَعْنِها لَعْنُ أصحابِها على أحد الوجوه في دلالتها[1]، ومنهم مَن قالَ: إنَّه على الحقيقة، ويُرادُ باللَّعن هنا معناه اللُّغويُّ الحقيقيُّ، وهو البُعْد، فهي لكونها في أبعد مكانٍ مِنَ الرَّحمة، وهو أصلُ الجحيم الَّذي تَنبتُ فيه، فهي ملعونةٌ حقيقةً[2]، وقيلَ: إنَّها ملعونةٌ؛ لأنَّها ضارَّةٌ مَكروهةٌ، والعربُ تقولُ لكلِّ طعامٍ كانَت هذه صفتُهُ: إنَّه ملعونٌ[3].

دلالةُ عطفِ (الشَّجرة) على أسلوب القصرِ قبلَها:

انـدراجُ ذِكْـرِ الشَّجرةِ الملعونةِ فيـما سبـقَ؛ لشِدَّةِ الفتنةِ بها

عُطفَ قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ﴾ على أسلوب القَصْر الواردِ في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً﴾، ويكون التَّقديرُ: (وما جعلْنا الشَّجرةَ الملعونةَ في القرآن إلّا فتنةً للنّاس)، كما في قولك: كسوت زيدًا جُبَّةً وعَمرًا، أي: وكسوت عَمرًا جُبَّةً كذلك[4].

وهذه الفتنةُ ظاهرةٌ، عبَّرَ عنها أبو جهل بقوله: (يتوعَّدُكم محمَّد ﷺ بنارٍ تُحرِقُ الحجارةَ، ثُمَّ يقول ينبتُ فيها الشَّجر؟ وما نعرفُ الزَّقّومَ إلّا التَّمرَ بالزُّبد)، ثُمَّ يأمرُ جاريةً له، فتحضر تمرًا وزُبدًا، ثمَّ يقول لأصحابه: تزقَّموا[5]! وقد وجدَ هذا القولُ سبيلًا إلى بعض

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 676، والخازن، لباب التّأويل: 3/ 135.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 148.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 11/ 459.
(4) ابن التّمجيد، حاشيته على هامش حاشية القونويّ على تفسير البيضاويّ: 11/ 540.
(5) البغويّ، معالم التّنزيل: 3/ 141، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/ 485، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 283.

ضِعافِ الإيمانِ، وصغارِ الأحلامِ مِنَ الَّذين دخلوا في الإسلام، فَوقَعَ الشَّكُّ في نفوسِهم، فكان ذلك داعيَةً لهم إلى أن يرتدّوا عنِ الإسلام، خاصَّةً وأنَّهُم في وجه مِحنةٍ قاسيةٍ، وبلاءٍ عظيمٍ، لا يمسكُهُم عليه إلّا إيمانٌ وثيقٌ، فإذا زاحمَ هذا الإيمانَ شيءٌ مِن هذه الشُّكوكِ الكاذبةِ، الَّتي يسوِّقُها إليهم المشركون، وجدَ ضعافُ الإيمانِ منهمُ الفرصةَ سانحةً للخروج مِن هذا البلاء بأوهى سببٍ! وهذا ما يُشيرُ إليه قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾، فهاتان آيتانِ مِن آيات الله المادّيَّةِ، وهما القولُ بالإسراء، والقولُ بتلك الشَّجرةِ الَّتي تَنبُتُ في أصل الجحيم، وفي هاتين الآيتين فتنةٌ للنّاس، أي: لهؤلاء المشركين.

فائدةُ قيدِ الجارِّ والمَجرورِ ﴿فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾:

دلَّ التَّقييدُ بالجارّ والمَجرور مِن قوله: ﴿فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ على ذكر هذه الشَّجرة في آياتٍ مِنَ القرآن الكريم، ففي سورة الصّافّات ذَكَرَ اللّهُ هذه الشَّجرةَ، وهي مِنَ القرآن المَكّيِّ، وقد تَهدَّدَ بها الله ﷻ المشركين، وأذاقَهُم طعامَها النَّكِدَ في هذه الدُّنيا، قبلَ أن يملؤوا منها بطونَهم في جهنَّمَ، فقال تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾﴾ [الصّافّات: 62 - 68]، وفي سورة الواقعة، وهي مكّيَّةٌ أيضًا، جاء قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾ [الواقعة: 51 - 56]، وفي سورة الدُّخان، وهي مكّيَّة أيضًا، جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدُّخان:

الإشـــارةُ إلى أوصاف الشَّجرةِ الـذَّمـيـمـةِ في الآيات الكريمة

43 - 46]، فهذه الشَّجرةُ قد ذَكرَها الله ﷻ في القرآنِ المكّيِّ، وعرضَها في هذه المَعارض، مُهدِّدًا بها المُشركين، مُتوعِّدَهم بها، مذيقَهم طعامَها الَّذي يغلي في البطون كغلي الحميم[1].

معنى الواو في قوله: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾:

تهديدُ المشركين وتخويفُهم تسليةٌ للنَّبيِّ المُرسَلِ إليهم

الواو في قوله تعالى: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ عاطفةٌ، حيثُ عطفَت هذه الجملةَ على جملة: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾، وهذا العطفُ دالٌّ على أنَّهم مُتصلِّبون في كُفرهم، مُكابرون، مُعاندون، وفيه زيادةٌ في تسليَة النَّبيِّ ﷺ، حتَّى لا يأسفَ مِن أنَّ اللهَ لم يُرِهم آياتٍ؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ حريصٌ على إيمانهم، كما قال موسى عليه السلام: ﴿فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾﴾ [يونس: 88][2].

إيثارُ التَّعبيرِ بالتَّخويف دونَ التَّرهيبِ:

فسحُ المجالِ أمامَ مشركي مكَّةَ ليعودوا إلى رُشدِهم

آثرَ السّياقُ الكريمُ التَّعبيرَ بالتَّخويف في قوله تعالى: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ دون التَّرهيب، كأن يُقالَ: (ونُرَهِّبهم)؛ لوجود فرقٍ بينَهما، فمادَّةُ الخوفِ تدُلُّ على توقُّعِ حدوثِ المَكروهِ في المُستقبلِ، ومادَّةُ التَّرهيبِ تدُلُّ على شِدَّة الخوفِ ومُلازمته؛ لذلك آثرَ القرآنُ الكريمُ التَّعبيرَ بالتَّخويف؛ ليفسحَ المجالَ أمام مشركي مكَّةَ ليعودوا إلى رشدِهم في الإيمان بالله ورسوله؛ بخلاف التَّرهيبِ فهو يدُلُّ على شِدَّة الخَوفِ ومُلازمته، وعلى ذلك فالرَّهبةُ أخصُّ مِنَ الخَوف؛ لأنَّها تتعلَّقُ معَ الخوف بأمرٍ زائدٍ، وهو التَّحرُّزُ مِنَ المُخوِّف، وأيضًا أنَّ التَّرهيبَ فيه زيادةُ مُدَّة الخوفِ واستمرارِه، وهذا يعني عدمَ فتحِ البابِ أمامَ مُشركي مكَّةَ للتَّخلُّصِ مِن عنادِهم واستكبارِهم في عدم الإيمانِ برسول الله[3].

(1) الخطيب، التَّفسير القرآنيّ للقرآن: 8/ 510.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 148.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 241.

سرُّ إيثارِ التَّعبيرِ بالمُضارع ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾:

الإشـــارةُ إلى تخويفٍ حاصلٍ لهم، ومُتجدِّدٍ عليهم

جيءَ بصيغة المضارعِ في قوله تعالى: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾؛ للإشارة إلى تخويفٍ حاضرٍ، فإنَّ اللّهَ خوَّفَهم بالقَحْط والجوع حتَّى رأَوا الدُّخانَ بينَ السَّماء والأرض، وسألوا اللّهَ كَشْفَه فقال تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ۝١٥﴾ [الدُّخان: 15]، فذلك وغيرُه مِنَ التَّخويف الّذي سبقَ، فلم يَزِدْهُم إلّا طُغيانًا، والظّاهرُ أنَّ هذه الآيةَ نزلَت في مُدَّة حُصول بعضِ المُخَوِّفات[1]، وإنَّما عبَّرَ النَّظمُ الكريمُ بصيغة المُضارع الدّالّة على الاستقبال، مع أنَّ تخويفَهُم وازديادَ طغيانِهم قد وقَعا؛ للإشعار بالتَّجَدُّد والاستمرار[2]، وفيه إشارةٌ إلى استحضار صورةِ التَّخويف وتجدُّدِهِ في حياة المُشركين؛ كلّما اعترضوا على الرِّسالة.

دلالةُ التَّعبيرِ بنون العَظَمةِ في ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾:

بيـانُ عَـظَـمـةِ المُـخـوِّفِ وهـو الله، وما يُخَوِّفُ بـه مِـن آيـاتـه العظام

دلَّ التَّعبيرُ بنون العَظَمةِ في قوله تعالى: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ على عَظَمة المُخوِّف، وهو اللّهُ سبحانَه الّذي له صفاتُ الجلالِ والعظمةِ والجبروتِ، وعلى عظمة ما يُخوِّفُ اللّهُ به مِنَ الآيات مِنَ القَحْط والجوع، حتّى رأوا الدُّخانَ بينَ السَّماء والأرض، وسألوا اللّهَ أن يكشفَهُ عنهم بقوله: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝١٢﴾ [الدّخان: 12].

غرضُ حَذْفِ مُتعلَّقِ ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾:

حُذِفَ مُتعلَّقُ الفعل ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾؛ لإفادة العُموم، والمعنى: نخوِّفُهُم بمخاوف الدُّنيا والآخرة[3].

دلالةُ الفاءِ في قوله: ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾:

الإشـــارةُ إلى تَكرُّرِ طغيانِهم وتَجَدُّدِهِ بحسب تَكَرُّرِ التَّخويفِ

دلَّتِ الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ على تَرتُّبِ طغيانِهم على تخويفِهم؛ فكُلَّما تجدَّدَ التَّخويفُ؛ تجدَّدَ طُغيانُهم وعَظُمَ[4].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 148.
(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 8/ 385.
(3) القونويُّ، حاشيته على تفسير البيضاويِّ: 11/ 540.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 1489.

بلاغةُ قَصْرِ الصِّفةِ على الموصوف:

توصيفُ قسوةِ قلوبِهم، وتماديهم في الطُّغيان والغَيِّ

في قوله تعالى: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ قَصْرُ صفةٍ على موصوف، فالطُّغيانُ بمَنزلةِ الموصوفِ، والمقصودُ مِن هذا القَصْر ذِكرُ سببٍ آخَر في أنَّه تعالى ما أظهرَ المُعجزاتِ الَّتي اقترحوها؛ وذلك لأنَّ هؤلاء خوِّفوا بمخاوف الدُّنيا والآخرة، وبشجرة الزَّقّوم، فما زادَهم هذا التَّخويفُ إلّا طُغيانًا كبيرًا، وذلك يدُلُّ على قسوة قلوبِهم وتَماديهم في الغيِّ والطُّغيان، وإذا كان الأمرُ كذلك؛ فَبتقديرِ أن يُظهِرَ اللّه لَهم تلك المُعجزاتِ الّتي اقترحوها، ولم يَنتَفعوا بها، ولا يَزدادون إلّا تماديًا في الجهل والعِناد، وإذا كان كذلك؛ وجَبَ في الحِكمة ألّا يُظهِرَ اللّه لهم ما اقترَحوهُ مِنَ الآياتِ والمُعجزاتِ[1].

سِرُّ التَّعبير بجملة ﴿يَزِيدُهُمْ﴾:

الإشـــارةُ إلى الـزّيـادة المكروهةِ، وهي زيادةُ الشَّيء مِن جنسه

عبَّرَ القرآنُ الكريمُ بالزّيادة في قوله تعالى: ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ على أنَّ التَّخويفَ بالآيات الكونيَّةِ والابتلاءاتِ النَّفسيَّةِ والجسديَّةِ لا يزيدُهم إلّا عِنادًا وعتوًّا وتجاوزًا، وكلُّ ذلك مِنَ الطُّغيان؛ لذلك ناسبَ التَّعبيرَ بالزّيادة الَّتي تدُلُّ على زيادة الشَّيءِ مِن جنسه، وهذا مِنَ الزّيادةِ المَكروهةِ، كما في قوله: ﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾﴾ [فاطر: 42]، وقولِه: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النّحل: 88][2].

إيثارُ استعمالِ لفظِ ﴿طُغْيَٰنًا﴾ دون غيره:

شُـمـولُ مـادَّةِ الطُّغيانِ للظُّلم والكُفر والغلوِّ في مُعاداة الحقِّ وأهله

آثرَ القرآنُ الكريمُ التَّعبيرَ بالطُّغيان في قوله تعالى: ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ دونَ غيرِه؛ لأنَّ أصلَ الطُّغيانِ يدُلُّ على مُجاوزة الحدِّ في العصيانِ[3]، وهو الاعتداءُ في حُدودِ الأشياءِ ومقاديرِها[4]،

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 362.
(2) الرّاغب، المفردات: (زاد).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (طغى).
(4) الزّبيديّ، تاج العروس: (طغى).

فكلُّ شَيءٍ زادَ وتَمادَى؛ فقد طَغَى[1]، ولتَعدُّد معانيه، حيثُ يَرِدُ في القرآنِ الكريم لمعانٍ أربعةٍ، وهي: الضَّلالُ، والعِصيانُ، والارتفاعُ، والكَثرَةُ، والظُّلمُ، ولِكُلٍّ واحدٍ مِن هذه المعاني شواهدُ[2].

ولمّا كان الطُّغيانُ في هذا المَوضعِ هو تجاوزَهُمُ الحدودَ المُعتادَةَ في الكفرِ والفجور، وغلوَّهم في مُعاداة الحقّ ومُقاومةِ دعوة الرَّسولِ، ومحاولةَ إطفاءِ نورِ الله بأفواهِهم، وصدَّ النّاسِ عن كتاب الله المجيدِ؛ لذلك ناسبَ التَّعبيرُ بالطُّغيان دونَ غيرِهِ السياقَ.

براعةُ الاستعارةِ في وصف الطُّغيانِ بالكِبَرِ:

بيانُ عِظَم طغيانِهم وشِدَّتِه في نوعه وخطورته

تظهرُ بلاغةُ التَّعبيرِ بالاستعارة في وصف الطُّغيان بالكِبَرِ في قوله: ﴿إِلَّا طُغۡيَٰنَا كَبِيرٗا﴾؛ لأنَّ الكبيرَ في الأصل هو عظيمُ الجُثَّةِ مِن نوعِه، وهو مَجازٌ في القَويِّ والشَّديد، وهو استعارةٌ أصليَّةٌ تصريحيَّةٌ مبنيَّةٌ على تشبيه المَعقول بالمَحسوس، الشَّديدُ القويُّ في نوع الطّغيان بعظيم الجُثَّة في الأفراد؛ لأنَّه مألوفٌ في أنَّه قويٌّ، وهو هنا بمعنى العظيم في الطُّغيان بقرينة المَقام، مثل تَسميةِ الذَّنبِ كبيرةً[3].

بلاغةُ التَّذييل بذِكْر الطُّغيان الكبير:

بيانُ ما جُبِلَ عليه المُشركون مِن جحودٍ وغِلٍّ

خُتِمَتِ الآيةُ الكريمةُ بقوله تعالى: ﴿إِلَّا طُغۡيَٰنَا كَبِيرٗا﴾؛ وهو تذييلٌ قُصِدَ به بيانُ ما جُبِلَ عليه هؤلاء المشركون مِن جُحودٍ، وقَسوةِ قلبٍ، أي: ونخوِّفُ هؤلاء المُشركين بعذاب الدُّنيا، وبعذاب الآخرة، وبشجرة الزَّقّوم الَّتي طلعُها كأنَّه رؤوس الشَّياطين، فما يزيدُهُم هذا التَّخويفُ والتَّهديدُ إلّا طغيانًا مُتجاوِزًا في ضخامته وكِبَرِه كُلَّ حَدٍّ، وكُلَّ عقلٍ سليمٍ[4].

(1) الهرويّ، الغريبين: 4/ 1172.
(2) ابن الجوزيّ، نزهة الأعين النَّواظر: 414 - 415.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 149.
(4) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 8/ 385.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الفتنة والابتلاء والاختبار:

الفتنةُ أشَدُّ الاختبار وأَبلغُه، ويكون في الخير والشَّرِّ، ومنه قولُه تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ [التغابن: 15]، وقولُه تعالى: ﴿لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ١٦ لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ﴾ [الجنّ: 16 - 17]، فجَعَلَ النِّعمةَ فتنةً؛ لأنَّه قَصَدَ بها المبالغةَ في اختبار المُنعَم عليه بها، كالذَّهب إذا أُريدَ المبالغةُ في تَعَرُّفِ حالِه أُدخِلَ النّارَ، واللّهُ تعالى لا يَختبرُ العبدَ لتغيير حالِه في الخير والشَّرِّ، وإنَّما المرادُ بذلك شِدَّةُ التَّكليف[1].

الفتنةُ أشدُّ الاختبار، والابتلاءُ تحمُّلُ المَشاق، والاختبارُ بهما وبالمَحبوب

أمّا الفرقُ بينَ الاختبار والابتلاء؛ فهو أنَّ الابتلاءَ عادةً لا يكونُ إلّا بتحميل المكاره والمَشاق[2]، والاختبارُ يكون بذلك وبفعل المَحبوب، يُقالُ: اختبرَه بالإنعام عليه، ولا يُقالُ: ابتلاه بذلك، ولا هو مُبتلًى بالنِّعمة، كما قد يُقالُ: إنَّه مُختبَرٌ بها، ويجوزُ أن يُقالَ: إنَّ الابتلاءَ يقتضي استخراجَ ما عند المُبتلَى مِنَ الطّاعة والمَعصية[3]، والاختبارُ يقتضي وقوعَ الخَبرِ بحالِه في ذلك، والخَبرُ العِلْمُ الَّذي يقعُ بكنهِ الشَّيءِ وحقيقتِه، فالفرقُ بينهما بيِّنٌ، والفتنةُ تأتي أيضًا بمعنى الابتلاء، كما في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾ [العنكبوت: 1 - 3][4].

وممّا سبق: يتبيَّنُ أنَّ الفتنةَ أشَدُّ مِنَ الابتلاء، بل هي أثرٌ مِن آثارِه، قد يحدثُ أو لا يحدثُ، فالأموالُ والأولادُ والأزواجُ وغيرُ ذلك مِنَ النِّعم هي ابتلاءاتٌ قد تَؤولُ إلى فتنٍ؛ إذا اغترَّ بها المُنعَمُ عليه، وقد لا تكونُ كذلك؛ إذا أدّى الإنسانُ واجبَ الشُّكرِ للّه عليها؛ كما أنَّ

(1) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 217.
(2) ابن منظور، لسان العرب (بلا)، والكفويّ، الكلّيّات، ص: 34.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 216.
(4) مجموعة مؤلفين، نضرة النَّعيم: 1/ 8.

الفتنةَ أخصُّ مِنَ الابتلاء؛ إذا كان الفاعلُ لها غيرَ الله، فهي دائمًا مِحَنٌ ومضارُّ مُهلِكَةٌ، كالعذاب والإحراق والإضلال، أمّا الابتلاءُ فيكونُ بالخير، كما يكون بالشَّرِّ، سواء أكان الفاعلُ هو اللّهَ، أم كان مِنَ المَخلوقين[1].

الطُّغيان والعُدْوانُ:

الطُّغيانُ تجاوُزُ الحَدِّ

العُدْوانُ تجاوُزُ المقدارِ المأمورِ به

الطُّغيانُ: هو تجاوُزُ الحَدِّ الَّذي كان عليه مِن قَبلُ، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ [الحاقّة: 11]، والعُدوانُ: تجاوُزُ المِقدارِ المأمورِ به بالانتهاءِ إليه والوقوفِ عندَه، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: 194][2].

(1) محمّد داود، معجم الفروق الدّلاليّة في القرآن الكريم، ص: 153.
(2) الكفويّ، الكلّيّات، ص: 584.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 28 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-25-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 28 : المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-25-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9844230 بتاريخ 2024/11/05م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»